

المثقفون وصكوك البراءة...

الركن الثاني فيه الوقيان

في مجال مراجعة النفس، لثقتي أن الآخرين سوف يتناولون الجوانب الأخرى. إن نقد الذات لا يعني إطلاق التعميمات والأحكام الجارفة التي ترمي الأمة بالعقم والافلاس وعدم القدرة على النهوض ومواصلة النضال. ثم إن مسؤولية الكلمة توجب التفكير ملياً في مقدار ما تترك من آثار إيجابية أو سلبية، ولا يصح أن يتحول التنفيس عن الهموم إلى معول لهدم الذات العربية.

لقد ظلت الجماهير تجتر الآلام والاحساس بالعجز والتقصير منذ نكبة ١٩٤٨، وجاءت نكبة ١٩٦٧ وما تلاها من نكسات فزادت الوضع سوءاً. ويبدو الآن أن مرحلة التأنيب أو التعذيب أخذت مداها، وقادت في بعض نتائجها إلى زيادة الانسحاق والمرارة. ولذلك أحسب أن المثقفين مدعوون إلى مراجعة الحسابات، وعدم الانقياد لردود الفعل العاطفية، والإمعان في دفع الجماهير إلى الاستسلام لليأس.

إن المؤمنين بقدرات الأمة العربية وطاقاتها، وامكانات تجاوزها المحن هم وحدهم القادرون على الفعل الإيجابي، وهم المطالبون بالبدء بالعمل ذي النفس الطويل. أما الذين يكتفون بالبكاء على الاطلال، والذين يصيهم الانهيار، فيدفعهم إلى الاسهام في اشاعته، فهم عاجزون عن الفعل، وهذه الفئة مطالبة بأن تتنحى عن الطريق، حتى لا تزيد الأمر تعقيداً.

وبعد، فثمة حاجة إلى ازالة الاتربة التي تراكمت على المنابع الثقافية القومية، التي أمدت

في البدء لا بد من الإشارة إلى أن المثقفين أنفسهم أسهموا في خلق الظروف أو المناخ الذي قاد إلى عدد من الهزائم، كان آخرها الهزيمة الأخيرة في لبنان. وما يحدث عقب كل هزيمة هو أن المثقفين ينتقلون ببراعة من قفص الاتهام إلى منصة القضاء، ليحاكموا كل شيء إلا أنفسهم. إنهم يتحدثون عن غياب الديمقراطية وتعسف الأنظمة وتخلّفها، وينسبون دفاعهم عن أكثر الأنظمة دكتاتورية أو استبداداً أو تخلفاً، وتعاملهم معها، أو عمالتهم لها سراً أو علانية. وفي كل مرة يخرج المثقفون والكتاب منهم بخاصة وهم يتأبطون بصكوك البراءة. ويكفي أن نتذكر أن من بيننا الآن من لا يزال يدافع عن نظام أجنبي هو النظام الرجعي المتخلف في إيران على الرغم من انحراف الثورة الإيرانية، وتنكيلها بكافة القوى التقدمية في إيران، وانكشاف مخططاتها لخلق فلسطين أخرى في منطقة الخليج العربي، مبتدئة بالعراق، بصفته القوة القادرة على الوقوف في وجه المؤامرة.

ولعل في هذا الموقف من بعض المثقفين العرب ما يكشف عن غيبة أو غيبوبة الضمير القومي. أما مواقفهم من الأنظمة العربية فليست بحاجة إلى الشواهد لتوكيد دلالاتها.

ومن جهة أخرى يلاحظ أن المثقفين لا يعتقدون الجماهير المغلوبة على أمرها من آثار مواهبهم في التضليل، فهم يجلدونها بقسوة، ويتلذذون بإيذائها وتقريعها، بل وتعذيبها، وكأنهم بذلك يعوّضون عن شعور بالذنب لا يستطيعون الإفصاح عنه.

وسوف أتوقف قليلاً عند هذه الزاوية فحسب،

وارد بها بالايان والتفاؤل، وحالت بينهم وبين الضياع في المتاهات البعيدة.

لقد تعرض جيلنا لمؤامرة اشتركت فيها اطراف عدة، واستهدفت تغريبه وتدمير هويته الثقافية القومية، واذا ما أردنا للجيل القادم – وهو الأمل في الخروج من الأزمة – أن يؤدي دوره المطلوب فهل من

المقبول تعريضه لمخاطر تلك المؤامرة؟

ان القضية متسعة الأرجاء، وإن احتل الجانب الثقافي ركناً أساسياً منها. وهي تحتاج الى تضافر جهود كثيرة وكبيرة، كما تحتاج الى قدر كبير من الشجاعة في البدء بمراجعة النفس.

الكويت

دار الآداب تقدم

كناينة



الدَّقْل

كناينة



هواجس فجا
النجربة الروائية